الدرس الخامس:

نظرية أفعال الكلام عند أوستين:

ارتبطت التداولية منذ نشأتها بمبدأ أفعال الكلام لذا يعد الفعل الكلامي محور الدرس التداولي،[1] ويعود الفضل في تطوير هذا المبحث إلى "فلسفة اللغة العادية"، حيث نشأت مكرسة مبدأ ظاهرة الأفعال الكلامية، حيث يعدها المتخصصون على أنها دراسة لظاهرة طبيعة اللغة، فاشتغلت أي فلسفة اللغة على المعاني العادية التي تتحول وفق مقامات الأحوال،وحتى نوضح أبعاد هذه النظرية لا بد أن بصادفنا أول مشروع للغوي "أوستين المنظر الأول،و تجمع الدراسات اللسانية أنها جاءت كرد فعل لأصحاب "الوضعية المنطقية" ضانين أن للغة وظيفة واحدة، وهي وصف الواقع بصدقه تارة،و بكذبه تارة أخرى ،أو ما يعرف عند "أوستين" بالمغالطة الوصفية"، أي أن اللغة ليست نقل الخبر ووصف الحال فقط ، بل إنّ هناك أفعالا تنجز في الواقع، وتحول قناعات الأفراد، واعتقاداتهم بمجرد التلفظ بها، فحدث التلفظ هو إنجاز لفعل من جهة، وإنشاء لحدث"[2]، من هنا يمكن أن نميز بين أفعال الكلام التي قد تكون أحداثا تقريرية (Acte Constatif) أي هي في حقيقتها أقوال وأفعال تخضع إما للصدق ،أو الكذب كقولك مثلا :أترك القاعة.

أو أفعال انجازية Acte Performatif وهناك أفعال ترتبط ببعض الشروط لضمان نجاح العملية تواصلية، حيث تحقق إنجازا تلفظيا، بحكم إن اللغة ترتكز على أسئلة استفهامية، أو تعجبيه أو،أمرية ضمن أساليب الترغيب والترهيب،و التمني،و سيأتي بيان ذلك لاحقا، والخلاصة أن البحث التداولي إذا يدرس اللغة بالتركيز على مجالات، وسياقات استعمالاتها، فهو يهتم أيضا بعلاقة المتخاطبين إلى جانب اهتمامها بالجوانب الشكلية للأبنية اللسانية، والدلالية، ومن هنا فإن التداولية تحاول حل الإشكالات التي تعرفها اللغة، لأن البنية لم تعد كفيلة لتفسير، وفهم اللغة، ومستعمليها،فهي من هذا المنظور مبحث لساني

([1]) فان ديك،النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2000م ص:125

([2]) جون اوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ترجمة عبد القادر قنيني، ،الدار البيضاء، إفريقيا الشمالية، ،1991،ص:17

يهتم بدراسة الكيفيات التي بفضلها يفهم المخاطب ،و المتكلم أفعالا خطابية تواصلية تأتي بفضل الحوار،و المحادثة ثم الكشف عن الخلفيات التي تتضام لتفرز تواصلا ناجحا بين المتلقين أثناء عملية التواصل،أي يسعى البحث التداولي إلى وضع إستراتجية، و مبادئ لأي حوار مرتبط طبعا بالمقام أثناء إنتاج الكلام فالمشروع التداولي بهذا الطرح هو البحث عن تقنيات كيفية تأويل الكلام ،أي كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية ،و ضمان التواصل،واكتساب ملكة لغوية تبليغية، أي فن استعمال اللغة .

الأفعال الكلامية (الأعمال الكلامية):

في البداية لا بد أن نشير إلى قضية هامة مفادها أن الدرس اللساني يقوم على دراسة النظام اللغوي، وعلاقة المستويات بعضها ببعض دراسة تركيبية شكلية بعيدة عن المقامات، و السياقات الثقافية، و حتى الاجتماعية مهملا إلى حد بعيد الدلالة ،أي دراسة اللغة بوصفها نصا مجردا لا خطابا وظيفيا.و اتجاه ينظر إلى الضوابط التي تحكم اللغة، وفعالية السياق في توجيه الخطاب التواصلي،و ما يتبعه من حركات،و إشارات غير لغوية مستأنسين بمن يشارك في العمليةة التواصلية،من هنا كان لا بد من إعادة النظر في توجيه وظـــــــــــــائف اللغة من النظرة الشكلية و الانطلاق من النظام،و الاستخدام معا،و يرتبط موضوع الأفعال الكلامية بالدرس اللساني التداولي ارتباطا وثيقا خاصة في مرحلة التأسيس عند اللغوي أوستين ،و مرحلة النضج عند تلميذه سيرل و هما من فلاسفة أوكسفورد.

من هنا فقد ركز المتخصصون في ما ألفوه في الدرس اللساني على أن نظرية أفعال الكلام من أهم مباحث الدرس التداولي ،و الفضل في ذلك راجع حسب فن دايك إلى فلسفة اللغة العادية التي نشأت في حضنها أبعاد أفعال الكلام حيث ركزت على المعاني العادية التي تتغير بتغير المقام، و الأحوال[3]،و يعد اللغوي البارز في نظرية أفعال الكلام الباحث أوستين حين خالف الذين ينظرون للغة على أن وظيفتها نقل الواقع، ووصفه بالصدق،أو الكذب،فاللغة ليست وظيفتها نقل الخطاب، وتبليغ السامع عبر الموجات الصوتية ،بل هناك أحداث لغوية تنجز حسب قناعات الأفراد،ومعتقداتهم،و بهذا تكون اللغة إنجازا للأفعال، وإنشاء للأحداث أثناء التلفظ.[4]

([3]) فان ديك،النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2000م ص:125

([4]) جون اوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ترجمة عبد القادر قنيني، ،الدار البيضاء، إفريقيا الشمالية، ،1991،ص:17

ويقسم أوستين أفعال الكلام إلى قسمين :

1. **الأفعال التقريرية** (Acte Constatif):

وهي كل الأقوال والأفعال الإخبارية التي تخضع للصدق والكذب،وقد عدل عن تسميتها أفعالا وصفية،لأنه ليس كل ما يوصف يخضع للصدق أو الكذب.

2. **الأفعال الإنجازية أو الإنشائية**(Acte Performatif):

وهي الأقوال أو الأفعال الأدائية التي ترهن بضمان النجاح الذي يحققه الفعل الذي تسميه أي انجاز،إلا أنه أعاد ترتيب أفعال الكلام من منظور التوفيق، و عدم التوفيق[5] ،أي التي تستخدم لأداء فعل كالترحيب، و الاعتذار،و النصح ،بل تكون إما ناجحة و موفقة ،أو غير موفقة و فاشلة ،ونجاحها مرتبط ارتباطا وثيقا بصاحب الرسالة حيث يراعي فيها المتكلم شروط الأداء فهو مثلا لا يستطيع أن يوصي بمال لا يملكه،فإن فعل ذلك كان لغوا و حشوا.وقد وضع أوستين شروطا ليتحقق بها الفعل الأدائي الصريح أسماها الملاءمة،وقد حصرها في ما يلي:

أ- نمط وجود إجراء عرفي مقبول وهو وجود كلمات محددة يتلفظ بها الأشخاص في ظروف محددة ،له أثر واضح.

(5) محمود أحمد نحلة، افاق جديدية في البحث اللغوي المنعاصر، دار المعرفة الجامعية،مصر،2002،ص:44

ب-نمط المناسبة من حيث الأشخاص و الظروف،

ج-نمط شمولية الإجراء بين المشاركين في العملية التواصلية،فإن قال القائل مثلا زوجتك إبنتي ،و لم يقل المخاطب قبلت كان الزواج باطلا.و كان الأداء ناقصا.

د-نمط المشاركة،أي لا بد أن يؤدي هذا الإجراء واضحا،وسليما يتجنب المتكلم الاستعارات و التراكيب الغامضة،وغير المناسبة.

و لابد أن نشير إلى أهمية الاتفاق الذي لابد أن يسود المشاركين من حيث الأحاسيس ،و المشاعر الذي يتطلبه الموقف الكلامي ، كما يجب التركيز على التوافق بين الإنجاز الكلامي، و السلوك المترجم لذلك ،فلا بد أن يتلاءم قولك مع فعلك فمثلا عند زيارة أحد أقاربك للبيت، و سلكت معه سلوكا معينا لا ينبئ على الفرح ،و الغبطة فأنت قد أسأت الأداء.

والخلاصة فإن فلسفة أوستين تقوم على توفر كل هذه الشروط لازمة، وضرورية في نجاح الأداء فالأفعال التي تحالف تلك الشروط أطلق عليها الإخفاقات و الإساءات.

لقد أعاد أوستين النظر في مسألة الفعل القولي، و الفعل الإنجازي، والفعل التأثيري،وذلك عندما تنبه إلى أن نظرية أفعال الكلام يشوبها الضعف في الكثير من الأحيان ،فقد نجد أفعالا أدائية،و إخبارية غامضة من حيث التمييز بينها فكيف يمكن أن ننجز فعلا حين ننطق قولا، من هنا تذكر الباحثة حورية زلاقي أن الفعل الكلامي في رأي أوستين ،والأفعال الثلاثة لا تنفصل ،إذ هي جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد ،و إنما فصل أحدهما عن الآخر لغرض الدراسة فحسب،وهي :

-الفعل اللفظي(القول)،و هو الإنجاز الصوتي،يتحكم فيها تنظيم تركيبي نحوي،يؤدي معنى محدد من خلال التركيب وهي:

-الفعل الغرضي (الإنجازي)أي الفعل المتضمن في القول ،و ما يؤديه الفعل اللفظي،كالوعيد ،و التهديد.

-الفعل التأثيري،و نقصد به الأثر الذي يتركه الفعل في المتلقين،سواء كان هذا التأثير جسديا،أو معنويا.

فالفعل اللفظي ضروري،و الفعل التأثيري لا يلزم كل الأفعال،و الفعل الإنجازي أهمها جميعا،ويعد جوهر النظرية الذي يربط مقصد المتكلم،و له علاقة بالسامع[6].

فالفلسفة التي اعتمادها أوستين في تقسيمه لأفعال الكلام ترتكز أساسا على القوة الإنجازية،و بناء عليه قدم تصنيفا وظيفيا للأفعال الكلامية:[7]

-الأفعال الدالة على الحكم و هي التي تصدر من الجهات الحكومية كالقضاء مثلا،وقد لا تكون نهائية.

أفعال الدالة على القرارات وهي الأفعال التي لها علاقة بكل ما له علاقة بالقرارات و الأوامر منها الاختيار و الوصاية،و التجنيد.

-الأفعال الدالة على التعهد التي تعبر عن المتكلم بفعل شيء،أو أن يلزم نفسه بفعل ما كالنذر ،و الضمان

-الأفعال الدالة على السلوك،وهي التي تمثل رد فعل لسلوك معين،كالشكر ،و الاعتذار ،و المواساة...

( )-للتوسع،راجع ،دروس في اللسانيات التداولية،حورية زلاقي ،مخطوط،2018.أفعال الكلام عند أوستين ص[6]5

[7]عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1،2003،ص:158-159

- الأفعال الدالة على الإيضاح،وهي التي يقصد بها تبيين وجهة نظر للمخاطبين،كالإثبات ـــو الإنكار و النفي و الموافقة ،فإذا كانت نظرية أفعال الكلام عند أوستين عرفت هذا التوجه،فإن تلميذه سيرل وجه تعليقات هامة من حيث التنظير،و التطبيق ،والذي سنتطرق إليه في الدرس القادم.

مراجع الدراسة:.

1-فان ديك،النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، -الدار البيضاء، المغرب، 2000م .

2-جون اوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ترجمة عبد القادر قنيني، ،الدار البيضاء، إفريقيا الشمالية، 1991،.

3-جون اوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ترجمة عبد القادر قنيني، ،الدار البيضاء، إفريقيا الشمالية، 1991،.

4-محمود أحمد نحلة، افاق جديدية في البحث اللغوي المنعاصر، دار المعرفة الجامعية،مصر،2002.

5-دروس في اللسانيات التداولية،حورية زلاقي ،مخطوط،2018.أفعال الكلام عند أوستين .

6-عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط2003،1.

7-خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم. الجزائر 2007.